

”يجب حماية التعليم
العالي: نظرًا لوجود
عدد قليل من
المؤسسات يحظى
بأهمية بالغة للتدريب
والتقدم العملي ما من
شأنه حمل العالم على
تخطي حالته الراهنة.“

لقد أضرت جائحة كوفيد19 بالتعليم العالي حول العالم، مما اضطر الجامعات والكليات إلى التخلي عن التدريس والمناقشات في الحرم الجامعي، ونقل معظم الأنشطة إلى البيئات الافتراضية أو المختلطة. هنا، يشارك الطلاب، المرتدون للأقنعة، في جامعة بروكسل الحرة (Université Libre De Bruxelles)، في بلجيكا، في حفل تخرج بالحضور الشخصي.

صورة: ألكسندروس ميخائيليس / Shutterstock.com

ملخص وافٍ

شن هجمات على العلماء والطلاب والعاملين ومؤسساتهم بوتيرة تنذر بالخطر. وحول العالم، تُشن هذه الهجمات من قبل الجهات الفاعلة الحكومية وغير الحكومية، بما في ذلك الميليشيات المسلحة والجماعات المتطرفة، وقوات الشرطة والجيش، والسلطات الحكومية، وجماعات من خارج الحرم الجامعي، وكذلك أعضاء أوساط التعليم العالي، من بين آخرين. كما أنهم يلحقون الضرر بالأفراد والمؤسسات التي يستهدفونها مباشرةً. وكذلك يهددون أنظمة التعليم العالي بالكامل من خلال إضعاف جودة التعليم والبحث والمحاضرة في الحرم الجامعي. كما يقلصون المساحة الممنوحة للأفراد من أجل التأمل، وطرح الأسئلة، ومشاركة أفكارهم بحرية وأمان، وكذلك وحصر الخطابات العامة والإضرار بالتنمية الاجتماعية الاقتصادية والتطور السياسي والثقافي وهي الجوانب التي يستفيد منها كل إنسان.

من خلال مشروع مراقبة الحرية الأكاديمية كان رد شبكة علماء في خطر على هذه الهجمات عن طريق رصد الحوادث الرئيسية وتتبعها، وهذا بهدف حماية الأفراد المُعرّضين للخطر، ورفع مستوى الوعي، والحث على تحمل المسؤولية، وتعزيز الحوار والتفاهم مما يساعد على الحيلولة دون مواجهة التهديدات المستقبلية. منذ عام 2015، لا تزال شبكة علماء في خطر تنشر تقارير حرية التفكير، وهي سلسلة من التقارير السنوية التي تهتم بتحليل الهجمات على مجتمعات التعليم العالي حول العالم.

ترد تفاصيل تفاصيل استمرار نمط عالمي النمط العالمي للهجمات

في طبعة حرية التفكير 2020. ومع ذلك، فمنذ بداية جائحة كوفيد19 على المستوى العالمي في مارس 2020؛ ومع إغلاق الجامعات حول العالم أبوابها ومغادرة الطلاب وأعضاء هيئة التدريس الحرم الجامعي، وانتقال التعليم العالي إلى نموذج التعليم عبر الإنترنت (إن أمكن)، قد تغيّر النمط، وكشفت الأزمة عن ثغرات جديدة داخل جسد التعليم العالي. وفي الشهور التي تلت هذه الأزمة، رصدت شبكة علماء في خطر زيادة في الإزعاج والمضايقات عبر الإنترنت والهجمات ذات الصلة. لقد تعرّضت مجتمعات التعليم العالي لأنواع جديدة من الضغوطات القديمة؛ وخاصةً في ضوء العلم بإمكانية خضوع كل محاضرة أو إبلاغ أو تفاعل داخل الفصول للمراقبة والتسجيل في الوقت الراهن، ومواجهة الجامعات لتحديات مالية غير مسبوق، ومهاجمة الجهات الفاعلة الحكومية العلماء والطلاب ممن يعارضون الروايات الحكومية الرسمية المتعلقة بأسباب الأزمة وحلولها.

ومن ثَمَّ، فإنه على الرغم من تغير الحياة الجامعية تمامًا عن الطريقة التي كنا نعرفها، استمرت الضغوط التي راقبتها وتتبعها شبكة علماء في خطر (وإن كانت أحياناً تتغير من حيث الشكل). وقد ظلت تصنيفات الاعتداءات التي رصدها مشروع المراقبة، والتي تشمل عمليات القتل والعنف وحالات الاختفاء، والتقاضي والحبس ظلماً، وفقدان المناصب، والطرد من الدراسة، والقيود غير اللائقة المفروضة على السفر، وغير ذلك من المشكلات الخطيرة والمنهجية (بما في ذلك، على سبيل المثال، استيلاء قوات الجيش على الحرم الجامعي، وتعرض مضايقات الأساتذة والطلاب عبر الإنترنت في هذا العام على وجه التحديد)، مصدرًا للخطر، واستمر ذلك خلال جائحة كوفيد19. وبالفعل، فإنه على الرغم من تغير الظروف في هذا الوقت، ظلت الدوافع وراء الهجمات منحصرة في: السيطرة أو إسكات مؤسسات وأفراد التعليم العالي، حيث عمد تقرير حرية التفكير 2020 إلى تحليل 341 من الهجمات المبلغ عنها في 58 دولة وإقليم، والتي وقعت في الفترة بين 1 سبتمبر 2019 و31 أغسطس 2020.

مستوى السياسات من الحكومات الإسرائيلية والتركية والأمريكية. وقد تسببت هذه الممارسات في تقييد التدفق الحر للأفكار عبر الحدود وهو ما كان يعد جوهرياً للتعليم العالي ولتحقيق تفاهم وتعاون عالمي. وبالطبع، ومع مستهل أزمة كوفيد 19، أصبح السفر للأغراض الأكاديمية مستحيلاً من الناحية الافتراضية، مما قلل أو حال دون عدد لا يحصى من الرحلات البحثية، والمؤتمرات الدولية، وبرامج الدراسة الخارجية المنتشرة في أرجاء العالم.

لقد ظلت الهجمات على تعبير الطلاب عن آرائهم وأفكارهم تذكراً أيضاً بمجموعة فرعية من الحوادث المرصودة التي غالباً ما يتكرر وقوعها، ففي العام الماضي، ذكرت شبكة علماء في خطر في تقريرها أكثر من مائة حادثة انطوت على هجمات ضد تعبير الطلاب عن آرائهم وأفكارهم، بما في ذلك الهجمات العنيفة، وحالات الاعتقال والحبس والتقاضي، والإجراءات التأديبية، مع استمرار الضغوط كما هو الحال في كولومبيا وإيران والأراضي الفلسطينية المحتلة (OPT) وجنوب أفريقيا. هذه الهجمات تهدد مستقبل الحركات الطلابية القوية غير العنيفة، وهو ما يُعد مهماً لفهم المشكلات المعاصرة ولتطوير قادة المستقبل.

كانت الإجراءات التشريعية والإدارية مصدرًا محددًا مثيرًا للمخاوف في دول بما فيها غانا والبرازيل، وهو ما يهدد بالقضاء على استقلال الجامعات كلياً عن طريق منح الجهات الفاعلة السياسية وحلفائها مقداراً غير ملائم من التحكم في أداء الحياة الجامعية لوظائفها. وفي تركيا والمجر، واجهت الجامعات عمليات استيلاء كاملة أو اضطرتها الحكومة على الخروج من الدولة كنتيجة للإجراءات الحكومية الموجهة. كما وسعت الفاعلة الجهات ذلك السياسية أيضاً إلى تجريم مجالات دراسية معينة، بما في رومانيا؛ والتي حظر البرلمان فيها فوراً الدراسات الجنسانية. وفي بولندا وروسيا، هدد التشريع المُلزم والقانوني حرية العلماء في مشاركة النظراء الدوليين وقدرة الجامعات على الاستقلال في إدارة الإجراءات التأديبية.

لقد فحصت شبكة علماء في خطر الضرر البالغ الذي أصاب مجال التعليم العالي في اليمن بسبب ما جلبه نصف عقد من الحرب والأزمة الإنسانية، وكذلك الكفاح المستمر من أجل الحرية في هونغ كونغ والصين والذي يظهر في أرجاء التعليم العالي وخارجها، فضلاً عن الصراعات السياسية الطاحنة التي تتفاقم في الحرم الجامعي في كل أرجاء الهند. وفي تقرير هذا العام، قام شركاء شبكة علماء في خطر في كل من تركيا وفنزويلا بإلقاء نظرة عن كثب على الأثر المتراكم عبر سنين للهجمات على أوساط التعليم العالي.

ويتميز تقرير "حرية التفكير" لهذا العام عن الأعوام الماضية، بإيراد عينة فقط من الهجمات التي سُنت على التعليم العالي والتي وقعت

تواصل الجماعات والأفراد المسلحون تنفيذ الهجمات الخطيرة والعنيفة على أوساط التعليم العالي. هذه الهجمات تشمل الدول التي تعاني التطرف أو الصراع؛ والتي تكون أوساط التعليم العالي فيها مستهدفة كما يتصورها رموز سلطة الدولة أو مصادر معارضة الأيديولوجيات المتطرفة. وانطوت أيضاً على هجمات تستهدف أفراد من العلماء أو الطلاب بحجة الانتقام من النشاط والتعبير الأكاديمي، أو رده. وخلال السنة المنصرمة، أبلغت شبكة علماء في خطر في تقريرها عن هجمات عنيفة وقعت في الحرم الجامعي في أفغانستان والهند واليمن، وهجمات موجهة ضد أفراد العلماء والطلاب في بوليفيا والبرازيل وبروندي وكولومبيا وهايتي والهند والعراق وكينيا والصومال وأوكرانيا، ووقائع عنفاً حياً باستخدام قوة مميتة ضد الطلاب المتظاهرين في نيجيريا والعراق.

لقد استخدمت السلطات الحكومية حول العالم حملات الاحتجاز والمقاضاة، وإجراءات قسرية أخرى لمعاينة مئات العلماء والطلاب، ومنعتهم من البحث والتدريس والتعبير خارج الأسوار والاتحادات. كما تكرر حدوث هذه الممارسات بموجب القوانين أو على أسس تستند ظاهرياً إلى علاقات تتصل بالأمن الوطني والإرهاب والعصيان وتشويه السمعة. وعلى مدار العام المنقضي، في دول شملت إسبانيا وباكستان والهند ومصر وروسيا وزيمبابوي، تعرّض العلماء والطلاب للاعتقال و/أو السجن لما يرتبط بشكل صريح بالعمل الأكاديمي، علاوةً على التعبير والنشاط غير العنيف.

وواصلت الحكومات تقييد أو كبت حرية حركة العلماء والطلاب من خلال الأعمال الموجهة، بما في ذلك رفض استصدار تصاريح الدخول والخروج وعمليات الترحيل ضد أفراد محددين ممن ينتقلون من هونغ كونغ والهند وروسيا وفنزويلا أو إليها، فضلاً عن القيود واسعة النطاق المفروضة على

الهجمات المبلغ عنها ضد التعليم العالي

1 سبتمبر 2019 - 31 أغسطس 2020

124	عمليات القتل والعنف والاختفاء	
96	السجن	
52	التقاضي	
30	فقدان المناصب	
7	القيود التقاضي على السفر	
32	غير ذلك	
341	الإجمالي	

خلال العام الماضي. وعلى الرغم من حالات إغلاق الحرم الجامعي لشهور حول العالم وتراجع معدلات سفر العلماء عبر الدول، استمرت الهجمات ضد التعليم العالي بمعدل مذهل.

حقًا، لقد كشفت أزمة كوفيد 19 وأظهرت مواطن الضعف الجديدة، والتي ستستمر بعض الجامعات في الشعور بأثرها على مدار السنوات المقبلة. ولكن الأزمة أكدت أيضًا على الأسباب التي تدعو إلى حماية التعليم العالي: لأن هناك عدد قليل من المؤسسات بالغة الأهمية للتدريب والتقدم العملي والتعاون والتي ستحمل العالم على تخطي حالته الراهنة.

إن شبكة علماء في خطر تدعو الدول وأوساط التعليم العالي والمجتمع المدني حول العالم إلى الاستجابة إلى ما يلي: نبذ العنف والأعمال القسرية الموجهة نحو تقييد التحقيق والتعبير، وحماية العلماء المهددين والطلاب ومؤسسات التعليم العالي، والتأكيد مجددًا بصورة معلنة على الالتزام بالحرية الأكاديمية ودعم المبادئ التي تدل على أن الخطابات النقدية ليست خيانة، وأن الأفكار ليست جريمة، وأن كل إنسان يجب أن يكون حرًا في التفكير والتحقيق ومشاركة أفكاره مع الآخرين.